المحاضرة رقم 05: دراسة ثقافة الفقر لـ أوسكار لويس:

هناك دواعي كبيرة للاهتمام بدراسة ظاهرة الفقر في المجتمعات الإنسانية سواء المتقدمة منها أو النامية ، فالفقر في المجتمع الرأسمالي المتقدم أصبح تحديا كبيرا لهذا الأخير كما يهدد أركانه ، وبالتالي بدأت الهيئات الحكومية و الخاصة تلتفت إلى دراسة هذه الظاهرة ، أما في المجتمعات النامية أصبحت تشكل أمر بديهيا للمهتمين والمختصين في العلوم الاجتماعية والإنسانية.

الاهتمامات الأكاديمية الأولى كانت وفق مذهبين أو توجهين سادا تاريخيا لتفسير هذه الظاهرة الأول : يعتقد أن القوى الهيكلية والعوامل البنيوية في المجتمع هي التي تنتج الفقر ، والتي يتعذر على الأفراد تجاوزها(الطرح الماركسي)، ولتخفيف حدة الفقر يجب إعادة النظر في السياسات العامة ، فهذا الطرح الكلاسيكي الاقتصادي الضيق يرى أن الفقراء سوف يتغيرون و يخلعون رداء الفقر بمجرد توفر المال ، فتحسين الحالة المادية يؤدي إلى تغير العادات القديمة و يخططون لحياة أفضل من ذي قبل و يشترون أفضل مما كانوا يشترون ، و يدخرون و يتعلمون التفكير في المستقبل، أما الثاني يرى أن الفقراء هم المسؤولين عن فقرهم بالدرجة الأولى (نظريات سمات الشخصية أو نظرية الفاعل الاجتماعي.)

في هذا الإطار نجد بالنسبة لبحوث التسويق في الأحياء الفقيرة والمتخلفة لم تكن الفكرة الأساسية عن الموضوع غائبة تماما عن العلماء ، ولكن الاتجاه إلى الانتفاع بها في التطبيق ، وهذا ما قام به " لازار سفيلد "في عشرينيات القرن الماضي أن يطور الفكرة التي مؤداها أن الناس الذين يعانون من البطالة أو الفقر يدخلون في دائرة جهنمية مفرغة لا يستطيعون الفكاك و على سبيل المثال: أن الشخص العاطل عن العمل منذ سنوات تتاح له فرصة قراءة الإعلانات عن الوظائف الخالية بدرجة اقل من الأشخاص الذين يمارسون عمل قار و أن الفقراء أقل تدبرا تفكيرا في مشترياتهم من الأشخاص الميسورين.

أما في مجال العلوم الاجتماعية نجد أن هذه الدراسات منها ما هو نظري يحاول إلقاء الضوء على العلاقات والمشاكل و تحاول حل مشكلات التعريف والتصنيف ، ومنها الدراسات التطبيقية التي تهدف إلى تقديم حلول لمشكلات حية مثله أو اختبار فروض نظرية على محك الواقع، في هذا الإطار جاءت دراسة" أوسكار لويس "سنة 1959 ، لم تنطلق هذه الدراسة من الفراغ حيث انتقد لويس مقاربة التقسيم الثنائي لمدرسة شيكاغو التي تفصل بين المجتمع الريفي و المجتمع الحضري ، فالمدينة بالنسبة لهؤلاء هي مكان انبثاق شخصية الفرد كوحدة تفكير وتفاعل ، كما انتقد أيضا تطورية نظريات " روبرت راد فيلد "والنظرة الايكولوجية " لويس ويرث "و التي ترى أن اللامعيارية و الانسيابية هي خصائص متعلقة بأسلوب الحياة في المدن ، يقول اوسكار لويس في هذا الصدد " : الحياة الاجتماعية ليست ظاهرة شاملة ، فهي تتشكل و تمر عبر الجماعات الصغيرة داخل الأسرة أو البيت ، الحي ، الكنيسة ، داخل الجماعات الرسمية والغير رسمية ... فكل تعميم يهتم بطبيعة الحياة الاجتماعية داخل المحيط الحضري يجب أن تتأسس على الدراسة الدقيقة للعوالم المختزلة أكثر من الاعتماد على الاتجاهات داخل المدينة في مجملها " ، كما يشير اوسكار إلى أن وظيفة الباحثين ينبغي أن تتغير في عالمنا المعاصر لتتجه نحو تقديم صورة عن حياة الطبقات الفقيرة الذين يشكلون 80 %من سكان العالم.

يرى لويس أن هذا النوع من الدراسات يتطلب تغييرا في أساليب البحث التقليدية ، فلم يعد بالإمكان دراسة القرى كوحدات معزولة عن الثقافة القومية أو دراسة المدينة كأعضاء في مجتمعات محلية صغيرة منعزلة ، و لذلك يجب التركيز على أساليب و وحدات جديدة للدراسة والنزول بها حتى يغير المتخصص ، لذلك كانت الدراسة مهمة فهي تركز على دراسة الأسرة أكثر من دراسة المجتمع المحلي والفرد و على العموم نجد أن الباحث استخدم في هذه الدراسة أربع طرق مختلفة:

تطبيق دراسة المجتمع المحلي على دراسة الأسرة الواحدة ، وكان يتناول جوانبها المختلفة تحت عناوين : الحياة الاقتصادية ، الدينية ، العلاقات الاجتماعية...

دراسة الأسرة من خلال دراسة كل واحد من أفرادها وهنا استخدم قصص الحياة.

اختيار إحدى المشكلات التي تعاني منها الأسرة و درس كيفية استجابتها لها ليتعرف على العوالم السيكو دينامية التي تتحكم في حياتها.

الاعتماد على الملاحظة التفصيلية ليوم كامل في حياة كل أسرة من الأسر الخمس ، ولكي يضفي مزيدا من العمق عليها استخدم فيها كذلك الطرق السابقة بأشكال متفاوتة.

- **المجال المكاني والزماني الدراسة :**

يقدم لويس عرضا سريعا للتاريخ الحديث للمكسيك والتحولات التي طرأت على المجتمع في جوانبه المختلفة منذ عام 1910 حتى السنوات الأخيرة ، ثم يشخص الهوة العميقة بين الطبقات الغنية والفقيرة من الناحية الاجتماعية والاقتصادية ، بعدها يقدم صورة عن المحيط الاجتماعي لكل واحدة من الأسر الخمس.

يبدأ لويس كل فصل عن إحدى الأسر الخمس من خلال بيان أعضائها ، و كذالك الشخصيات التي سيتردد ذكرها خلال العرض ، و قد اختار الأسلوب الروائي في عرض مادته ، و يدخل التفصيلات ضمن سياق الأحداث لتضفي وضوحا على المشهد الذي يتحدث عنه ، ويمكن للقارئ أن يكون انطباعا كاملا عن كل واحد من أفراد الأسرة و استجاباته السلوكية و انطباعا عن حياته الفكرية و الوجدانية.

- **نتائج الدراسة :**

يرى كارلوس أن الفقر يخلق نوع من الثقافة هي ثقافة الفقر وهو مثل أي ثقافة تعيد إنتاج نفسها باستمرار على المحافظة على بقائها ، بمعنى أن هناك قوى ثقافية اجتماعية داخلية هي التي تشد الأفراد المنضوين تحتها إلى الفقر، فالفقر ليس حالة اقتصادية ، بل هو ثقافة و هي طريقة للحياة تنتقل بين الأجيال عن طريق عمليات التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة ، تستمد هذه الثقافة خصائصها من خصائص البيئة الفيزيقية للمكان و نوعية الحياة و نسق القيم و المعايير السائدة، كما أن هذه الثقافة تتجاوز الحدود الإقليمية و الفواصل الريفية والحضرية و في حدود القومية ، كما أن هناك تشابه في بناء الأسرة ، روابط القرابة ، علاقات الزواج ، علاقات الآباء بالأبناء، استثمار الوقت ، نمط الإنفاق ... و هذا ما أكده فيما بعد في دراسات أخرى لندن ، بورتوريكو ، نيويورك، فئة الزنوج من الشرائح الدنيا في الولايات المتحدة الأمريكية ...، والواقع أن أوسكار ميز أكثر من سبعين سمة تشكل ثقافة لفقر بوبها تحت الأبواب التالية:

- طبيعة التكامل مع المجتمع المحلي.
- طبيعة المجتمع المحلي المتخلف.
- الأسرة.

الشخصية.

المحاضرة رقم 06: دراسة اختيار الشعب " بول لازار سفيلد(1901-1976).

ابتداء من سنوات العشرينات اعتبر مجموعة من الباحثين أن وسائل العالم تحدد و توجه المواقف والاتجاهات السياسية و آراء الجمهور ، في كتاب " الدعاية التقنية في عالم الحرب " سنة 1927 اقترح هارولد لازويل (1902-1978) نموذج للتحليل الوظيفي يدعى " الحقنة النسيجية " يرى من خلاله أن المستقبل يستقبل ويستوعب كل الرسالة المرسلة من طرف المرسل (وسائل الإعلام) ، إذن بإمكان صاحب دعاية معينة الاستعانة بهذه الوسائل للتأثير في سلوك الأفراد ، و بالتالي بإمكان السلطة السياسية تجنيد هذه الوسائل للدعاية ، هذه النظرية تستعين بطرح المنعكس الشرطي لـ" بافلوف "، فهذا النموذج يقوم على مجموعة من البديهيات الاجتماعية لمجتمع ما بين الحربين العالميتين .

لم يقتنع بول لازار سفيلد بنموذج الحقنة النسيجية لـــ: هارولد لازويل و أراد معرفة مدى صمود هذا النموذج أمام الواقع وقد جاءته الفرصة المناسبة لذلك وهي الانتخابات الرئاسية الأمريكية سنة 1940 حيث قام بمعية " برنارد بيرلسون "و " هازل جودي "بدراسة خلال هذه الانتخابات التي شارك فيها الرئيس السابق " روزفلت "الذي كان مريضا وغير قادر على تحمل مسؤوليات الرئاسة لاسيما أن البلاد مقبلة على حرب عالمية ، و قد ناشدت اغلب وسائل الإعلام الناخبين على عدم إعادة انتخابه فقد كانت معادية له ، لذلك قرر الزر سفيلد إجراء هذه الدراسة ليتأكد من مدى قوة تأثير وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري على موقف الناخبين ، كون لازار سفيلد فريق بحث كبير و اختار منطقة " إيري "بولاية " أوهاي "لإجراء الدراسة ، اختار عينة ممثلة من 600 شخص تتم مقابلتهم مرات متتالية أي مرة كل شهر من ماي إلى نوفمبر موعد الانتخابات ، أثناء هذه المقابلات يحرص الباحث على التعرف على العناصر المؤثرة على الناخب ، و على تطور موقفه طيلة الحملة الانتخابية.

نتائج الانتخابات كانت مخالفة لكل التوقعات حيث أنه أعيد انتخاب روزفلت و هي نتيجة معاكسة تماما لتوجهات الإعلام ، و عليه استنتج بول أن عملية تكوين الرأي الإعلام الانتخابي لا تتم على مستوى فردي بل في أطار جماعات تعيش أوضاعا اجتماعية متشابهة و تجمعهم مصالح و احتياجات مشتركة ، يعني أن المجتمع ليس مكون من ذرات معزولة ، أن الاتصال الشخصي كان العامل المؤثر في تكوين رأي الناخبين (حوارات و نقاشات) و ليس الاتصال الجماهيري ، هناك قلة داخل كل جماعة تتميز عن باقي الأفراد بكونها أكثر متابعة للشأن العام و أكثر استخداما لوسائل الاتصال و أكثر انفتاحا على محيطها أطلق على هؤلاء " قادة الرأي "أما البقية فهم أتباع لأنهم لا يحصلون على معلوماتهم من وسائل الإعلام بل من خلال اتصالهم المواجهي و المباشر بقادة الرأي ، إذن قادة الرأي يعملون كوسيط بين وسائل الاتصال و الجمهور .

لكي يتأكد لازار سفيلد من مصداقية نتائج الدراسة الأولى قرر إجراء دراسة ثانية بمعية" كاتز "شملت 800 سيدة للتعرف على تأثير كل من الاتصال المواجهي و الاتصال الجماهيري في اتخاذ قرارات بمجالات التسوق و اختيار الأفلام..

نتائج الدراسة أكدت النتائج السابقة و استنتج نتائج أخرى:

- قادة الرأي و الأتباع ينتمون إلى نفس الجماعة الأساسية سواء كانت أسرة أو أصدقاء أو زملاء العمل.

يمكن لقادة الرأي والأتباع أن يتبادلوا الأدوار في ظروف مختلفة ، فقائد الرأي في المجال السياسي يمكن أن يكون تابعا في المجال الرياضي أو الديني والعكس بالعكس.

المحاضرة رقم 07: دراسة يانكي سيتي " لويد وارنر(1901-1976).

- **المجال المكاني والزماني للدراسة :**

كانت هذه الدراسة نتاجا لتجارب هاوثورن، فقد حوّل" وارنر "اهتمامه من المجتمعات البدائية إلى المجتمعات الحديثة، وأراد أن يدرس مجتمعا محليا أقل تفككا من الأحياء الصناعية بمدينة شيكاغو، أي مجتمع تتميز فيه الأنماط الاجتماعية بالاستقرار النسبي ومقاومة التغير، وهذا ما جعل اختياره ينحصر في نيو انجلند، وقد وقع الاختيار في النهاية على" نيو بري بورت new berry port "في ماسشوستس،Massachusetts وهي مدينة ساحلية لها تاريخ طويل ومتواصل وكانت تضم 18 ألف نسمة وقت إجراء الدراسة.

لقد بدأ العمل الميداني سنة 1931 إلى 1935 وخرجت نتائج المشروع في خمسة مجلدات ضخمة في الفترة 1941م و 1959م.

- **أهداف الدراسة :**

تغطي هذه المجلدات النمط العام للحياة الاجتماعية في اينكي سيي، تحليلا دقيقا لنسق المكانة، وأوضاع ثماني جماعات عرقية(الايرلنديون، الكنديون الفرنسيون، اليهود، الايطاليون، الأرمن، اليونانيون، البولنديون والروس)، والتطور المفاجئ الهام لصناعة الأحذية المحلية، والرموز السياسية والتاريخية والدينية في اينكي سيي، وقد ساعد "وارنر "في إعداد هذه المجلدات باحثين آخرين، مع إحاطة سكان المنطقة بأهداف العامة للبحث.

- **أهمية الدراسة :**

قد أسهم مشروع اينكي سييت في انتشار وجهة نظر الأمركيين عن مجتمعهم ، واتضح أن التنوع المحلي هو أساس تجانس النظم في المجتمع الأمريكي، مع ذلك فإن هذا التصور كان له ثمنه مادام أن النسق الطبقي الذي نمى في نيوبري بورت كان بطبيعته سريا وغير معترف به وانحرافا غير شرعي عن المثل الأمريكية السائدة عن الديمقراطية والمساواة بين الأشخاص.

وقد أمكن للباحثين من خلال إظهار معامل هذا النسق أن يغيروا من طبيعته إلى حد ما، أن يبرهنوا على صحة حجج من ادعوا مكانة عليا، وأن يجعلوا من الصعب على الجماعات الوسطى لدينا ادعاء المساواة النظرية وهو الادعاء

الذي كان موجودا من قبل، ومع الستينات تم التسليم على نطاق واسع بوجود نسق طبقي في الولايات المتحدة الأمريكية، كما أن النسق الطبقي المؤلف من ست طبقات الذي وجده وارنر يف نيوبري بورت موجود في مجتمعات أخرى دون الحاجة للبحث عن ذلك.

- **السياق المنهجي للدراسة :**

لقد سعي الباحثين إلى جمع معلومات غزيرة باستخدام طرق عديدة :الملاحظة بالمشاركة، رسم الخرائط، العد الإحصائي، المقابلات والاستبيانات وتاريخ الحالة، الوثائق العامة، الصحف، اليوميات، المذكرات، وكانت النتيجة العامة الاكتشاف المبكر وهو وجود نسق واضح من الطبقات الاجتماعية تؤثر في حياة السكان من جميع الجوانب، واتضح أنّ وجود الباحثين كان له تأثير ضخم على الوعي الاجتماعي للسكان موضوع الدراسة.

تتمثل المنهجية في ترتيب البيانات إلي مجتمع في اينكي سيي حسب أسماء الأفراد، ويتكون الجزء الرئيسي من التحليل من تعاقب مراتب الأفراد وعلاقتهم باستخدام نظام الملفات(ملف لكل فرد)، الذي يجمع المعلومات بشكل فردي عن كل ساكن تقريبا من سكان المدينة.

- **نتائج الدراسة:**

لقد توصلت هذه الدراسة الى وجود نظام طبقي خفي يحدد انتماءات الأفراد، وحدّد خصائصه ومميزاته.

خصائص النظام الطبقي:

- إنَّ طبقتين أو أكثر من الناس يعتقدون أنّهم في أوضاع عليا ودنيا وفقا لترتيب أعضاء المجتمع المحلي.
- يفضل الزواج داخل نفس الطبقة مع أنّ قيم المجتمع تبيح الزواج بين أفراد ينتمون إلى طبقات مختلفة.
- أنّ النسق الطبقي يسمح أو يساعد الأطفال أن يظلوا في نفس المكانة.
- يقوم المجتمع الطبقي بتوزيع الثروة والامتيازات والواجبات والالتزامات بدرجة غير متكافئة بين الرتب الدنيا والعليا.
- أنَ النسق الاجتماعي في اينكي سيي يسوده نظام طبقي، يتميز بنسق الطبقات المفتوحة – على عكس نسق الطبقات المغلقة – بقيمه الخاصة بالصعود والهبوط على السلم الاجتماعي، وهذا هو
- التسلق الاجتماعي باللغة الدارجة أو الحراك الاجتماعي باللغة المتخصصة، فهو قائم على فكرة التواصل الاجتماعي ، الطبقات مترابطة ومستمرة، أين يستطيع الأفراد الدخول والخروج بينها، فهو تقسيم ليبرالي يسمح للفرد بتغيري طبقته عن طريق الصعود أو الهبوط.
- يتألف النظام الطبقي من ستة طبقات وثلاث طبقات رئيسية كل منها ينقسم بدوره إلى قسمين :والطبقات الست بلغة هي : العليا العليا، العليا الدنيا/ الوسطى العليا، الوسطى الدنيا /الدنيا العليا، الدنيا الدنيا.
- تتألف الطبقة العليا العليا :من العائلات العريقة إلى حافظ أسلافها على وضع قيادي في المدينة على مدى ثلاثة أجيال على الأقل، والطبقة العليا الدنيا من العائلات الجديدة التي يتشابه أسلوب معيشتها مع أسلوب معيشة العائلات العريقة ولكنه أسلوب مكتسب حديثا
- تتكون الطبقة الوسطى العليا من رجال الأعمال وأصحاب المهن الفنية المتخصصة الذين يتمتعون بقدر من الاستقلالية، وتتكون الطبقة الوسطى الدنيا من صغار التجار والعمال أصحاب الياقات البيضاء.

- تتكون الطبقة الدنيا العليا من عمال المصانع السواد الأعظم، والطبقة الدنيا الدنيا من ساكني مدينة بروكر Brookerالذين يعملون بصفة غير منتظمة ويحصلون على قوت غير مضمون من العمل العرضي وأعمال الحفر وصيد البحر والمهن الغير نظامية، وقد قسَّم الطبقات حسب المكانة الاقتصادية، المكانة الاجتماعية،(نمط الحياة)

- إنَّ اليانكيين (وهم الأشخاص المنحدرين من المستوطنين الانجليز الأول في نيو أجنلند)هم الجماعة السائدة، ويشكل اليانكييون من أصل محلي حوالي نصف مجموع السكان، وهم ممثلون في جميع الطبقات الست خاصة في الطبقتين العليا والدنيا، وينتمي حوالي ربع السكان الى جماعات عرقية عديدة بدأت تستوطن اينكي سيي في الأربعينات من القرن الماضي وهم ممثلون في جميع الطبقات باستثناء العليا العليا، وحتى الوقت الذي وصل فيه فريق البحث لم يوجد فرد واحد في هذه المدينة كانت لديه معرفة وافية بالنسق الطبقي مع كل فرد لديه تصور عن بعض ملامحه، وهذا النسق الطبقي نمط تلقائي نتج تدرجيا عن ظروف تاريخية، وأصبح قادرا على الاستمرار لأن نيو بري بورت تتميز بحجم ثابت نسبيا من السكان(لا يوجد هجرة)ولم تتعرض لأية ضغوط حادة من الخارج (الحروب.)

.....يتبع....